

لازماً، ولهذا ميّز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾؛ أنتم بريئون ممّا أعمل، وأنا بريء ممّا تعملون.



تفسير سورة النصر

وهي مدنية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

﴿١ - ٣﴾ في هذه السورة الكريمة: بشارة، وأمرٌ لرسوله عند حصولها، وإشارة، وتنبية على ما يترتب على ذلك:

فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس ﴿في دين الله أفواجاً﴾ بحيث يكون كثيرٌ منهم من أهله وأنصاره بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشّر به.

وأما الأمر بعد حصول النَّصْر والفتح؛ فأمر [اللَّهُ] رسوله أن يشكره^(٢) على ذلك، ويسبّح بحمده، ويستغفره.

وأما الإشارة؛ فإن في ذلك إشارتين: إشارة أن النَّصْر يستمرُّ للدين^(٣) ويزداد عند حصول التَّسْبِيح بحمد الله واستغفاره من رسوله؛ فإن هذا من الشُّكر، والله يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾: وقد وُجِدَ ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة، لم يزل نصر الله مستمرّاً حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دينٌ من الأديان، ودخل فيه من لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلوا^(٤) بتفرُّق الكلمة وتشَّتت الأمر، فحصل ما حصل، ومع هذا؛ فللهذه الأمة وهذا الدِّين من رحمة الله ولطفه ما لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال.

(١) في (أ): «مكية».

(٢) في (ب): «أن يشكر ربه».

(٣) في (ب): «إشارة لأن يستمرَّ النصر لهذا الدين».

(٤) في (ب): «فابتلاهم الله».

وأما الإشارة الثانية؛ فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله ﷺ قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمرٌ فاضلٌ، أقسم الله به، وقد عهد أن الأمور الفاضلة تُختَم بالاستغفار؛ كالصلاة والحج وغير ذلك، فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال إشارة إلى أن أجله قد انتهى؛ فليستعد ويتهيأ للقاء ربّه ويختَم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه، فكان [ﷺ] يتأول القرآن ويقول ذلك في صلاته؛ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»^(١).



تفسير سورة تبت

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾.

أبو لهب هو عم النبي ﷺ، وكان شديد العداوة والأذية له^(٢)؛ فلا فيه دين له، ولا حمية للقرابة، قبحه الله، فذمه الله بهذا الدَّم العظيم، الذي هو خزني عليه إلى يوم القيامة، فقال:

﴿١﴾ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾؛ أي: خسرت يدها وشقي، ﴿وتَبَّ﴾: فلم يربح.
 ﴿٢﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾: الذي كان عنده؛ فأطغاه^(٣)، ولا ﴿مَا كَسَبَ﴾: فلم يردّ عنه شيئاً من عذاب الله إذ نزل به.

﴿٣ - ٥﴾ ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: وكانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله ﷺ؛ تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ، وتجمع على ظهرها الأوزار^(٤)؛ بمنزلة من يجمع حطباً، قد أعد له

(١) كما في «صحيح البخاري» (٤٩٦٧ و ٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) في (ب): «للنبي ﷺ».

(٣) في (ب): «وأطغاه».

(٤) في (ب): «من الأوزار».